مجلة "نتائج الفكر" الصادرة عن معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة
العدد05،06 . السنة 2020، ص 157–175
ISSN 2477-992x / EISSN 2773-2762

الأنساق ما بعد الكولونيالية وجدل التحرر في الرواية النسوية العربية – نماذج مختارة–

Post-colonial systems and the liberation debate in the Arab feminist novel - Selected Models-

د. سمية قندوزي somaya Guendouzi
أستاذة محاضرة جامعة الجزائر2، guendouzisouso@outlook.com

ملخص البحث

المخلّص: يعدّ مفهوم مابعد الكلونيالية مفهوما سياسيا في أصله، تحول فيما بعد إلى مصطلح نفذ إلى مجالات عديدة أهمهما المجال الأدبي والنقدي، ويشكل جزءا من حقل النظرية الثقافية أو الدراسات الثقافية، فما بعد الكولونيالية كنظرية وكدراسة هو توجه نقدي لتعاملات سياسية وثقافية، ولقد بدت ملامح الفكر النسوي ما بعد الكلونيالي ضمن مقولات المركز/ الهامشس، ليتحول الهامش النسوي داخل هذه النظرية إلى النساء المقهورات المضطهدات من قبل المنظومة الاستعمارية، والمنظومة الأبوية الذكورية التي تمارس تهميشا للنساء.وعليه سنحاول من خلال دراستنا لنصوص روائية نسوية الكشف عن أهم الأنساق ما بعد الكلونيالية وجدل التحرر المسكون بوجع الأنثى.

كلمات مفتاحية: السردية العربية، السرد النسوي، مابعد الكلونيالية، الأنساق المضمرة، السلطة الأبوية.

Abstract: The concept of post-colonialism is considered a political concept in its origin, which later turned into a term that was implemented into many areas, the most important of which is the literary and critical field, and forms part of the field of cultural theory or cultural studies. Post-colonialism as a theory and as a study is a critical orientation for political and cultural dealings. Post-colonial feminist thought within the arguments of the center / periphery, so that the feminist margin within this theory turns into oppressed women persecuted by the colonial system, and the patriarchal patriarchal system that practices marginalization of women. Therefore, through our study of feminist fictional texts to reveal the most important post-colonial patterns and the liberation debate Haunted by female pain.

Keywords: Arabic narratology , feminist narration, post-colonialism, implicit patterns, patriarchy.

د. سمية قندوزي guendouzisouso@outlook.com

مقدّمة:

أصبحت الرواية النسوية في الوطن العربي، عالما صاخبا مفتوحا على أسئلة كثيرة، مليئة بالإشكاليات التقنية والفنية والإنسانية، والتيماتية، ناهيك عن جرأتها وتحدياتها للواقع، وللقارئ من حيث مناقشة جملة من الإشكاليات الشائكة، وخوضها في إشكاليات ظلت حكرا على الكتاب الرجال، وإخراج المسكوت عنه، من حيز الهامش إلى فضاء المتن، فدافعت عن قضاياها المغيبة، وعرفت الكثير من الممارسات السلطوية، بكل مفاهيمها، وشكلت بذلك ظاهرة لافتة، جديرة بالدرس والتحليل، وأصبحت نقطة تحول ثقافي، فكري وإجتماعي، ينبغي الوقوف عندها و تحليلها، وما قربني أكثر من إشكالية البحث هو الاشتغال على الأنساق مابعد الكلونيالية وتتبعها في النص الروائي النسوي، وفتح المجال أمامها لتطفو فوق سطح النص السردي لتعلن تحررها من أفكار عنصرية بقيت حبيسة فترة من الزمن، أفكار تجذرت بفعل النظرة الفوقية و المتعالية أو المروجة من الآخر المسيطر،فاخترت أربع متون روائية استدعتهم الدراسة لخدمتهم المباشرة للموضوع، ولتنوع الأنساق المتناثرة فيها، لنتحكم في جوانب الدراسة – الجانب السياسي والديني و الاجتماعي و الثقافي–، فكيف تعاملت الروائيات مع هذه الأنساق وفق الإجراءات و الآليات التي دعت لها ما بعد الكلونيالية؟، و هل استفادت الروائيات العربية من مفاهيم مابعد الكلونية؟ وكيف تحرر من أنساق مترسخة في عرفنا الاجتماعي ؟.

يعتبر موضوع الدراسات ما بعد الكلونيالية من أهم الدراسات المتجددة نظرا لارتباطه بمجالات معرفية كثيرة جعلته في كل مرة ينتج نظريات ومعالجات متجددة للنص الأدبي، أما بالنسبة لمصطلح "الكلونيالية" يبقى المصطلح الذي حاول وبكل قوة أن يفرض نفسه على الدول العربية، ويبقى أيضا المصطلح الذي يحمل كل معاني الظلم والاستبداد والاستعمار والعنف والأساليب الشنيعة والهيمنة ، ومن خلال هذا يتضح لنا أن الكولونيالية لها تأثيرها على الصعيد الجغرافي

والإنساني حيث تجدها متداخلة فيما بينها، وضمن هذا الوضع نجد أن المجتمع العربي وجد نفسه مجبرا على الاحتكاك بالثقافات الغربية والانفتاح على علومها والاستفادة من مختلف اتجاهاتها.

توجهت الفئة المثقفة من دول العالم الثالث نحو دراسة الآثار التي تركها الاستعمار على المستعمر إيجابية كانت أم سلبية، انطلاقا من تشكل الوعي الإنساني لدى هذه الفئة مما حفزها على تحليل الخطابات الاستعمارية، وإعادة قراءة التاريخ من وجهة نظر المستعمر.[1]

تعتبر الدراسات مابعد الكلونيالية من أهم النظريات الأدبية والنقدية ذات الطابع الثقافي والسياسي، كونها تربط الخطابات بالمشاكل السياسية في العالم، إذ تستعرض هذه الدراسات ثنائية الشرق والغرب في إطار الصراع العسكري والثقافي والعلمي والحضاري، وتعمل على اكتشاف مواطن الاختلاف بين هذه الثنائية " الشرق و الغرب"، من قبل كتاب المرحلة " المابعدية"، وغالبا ماينتمي هؤلاء الكتاب إلى شعوب الدول المستعمر خاصة شعوب افريقا وآسيا.

يتميز النقد "ما بعد الكولونيالي" بطابعه المقاوم للإيديولوجيات والمركزيات المهيمنة التي كرسها المستعمر، وإعلاء صوت الأقليات المهمشة والعمل على تفكيك المركزيات، لتصبح "ما بعد الكولونيالية" الفضاء النضالي الجديد المواجه للنظرة الفوقية الاستعمارية المتمركزة حول هويتها الذاتية والثقافية، أنتجت لنا مفهومات وخطابات في مواجهة الأنساق الثقافية عن طريق الوعي الجديد المتشكل ضمن الكتابات السردية المقاومة لأشكال السلطة في ظل الإمبراطوريات الكبرى.

تعد النظرية مابعد الكولونيالية من أهم النظريات التي رافقت مرحلة مابعد الحداثة، لاسيما أن هذه النظرية ظهرت بعد سيطرة البنيوية على الحقل الثقافي الغربي، ولم تعرف طريقها للوجود في مجال النظرية السياسية إلا في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، وتسعى مابعد الكلونيالية إلى نقد لكل ماهو طرفي أو هامشي، وكانت البداية مع اللغة التي اعتبرت أداة للسلطة وتأسيس خطاب يلائم المكان المستعمر"[2].

طرحت النظرية ما بعد الكلونيالية مجموعة من القضايا والإشكالات البارزة التي تدخل ضمن أطروحاتها، باعتبار أن هذه النظرية تعالج قضايا فكرية، وأدبية وثقافية، وسياسية، والتي من أبرزها:الخطاب الاستعماري، الهامش والمركز، تحليل الخطابات الاستعمارية، ثنائية الشرق و الغرب، الأدب النسوي والاستعمار ومواضيع العرق و التابع و الجندر و العبيد و الزنوج و الآخر و المرأة[3]

استفاد الأدب النسوي من النظرية "ما بعد الكولونيالية" كآلية وإجراء لتفكيك الخطاب الذكوري السلطوي الذي أنتج من منطلق الأنا المتسلطة ونظرته حول الأنثى الهامش التابع في مقابل الفحولة المركزية، باعتبار الرجل هو الأصل والمرأة هي الفرع وهذا ما تحاول "ما بعد الكولونيالية التصدي له بحكم مرجعيتها العلمانية للأصولية، لأنها ترى فيها شكلا عدائيا للهوية ومقابلا حادا للإمبريالية"[4].

لكن إذا كانت نظريات ما بعد الكلونيالية تعمل على إعادة التأريخ من وجهة نظر ثانية، أي الرؤية من زاوية التابع المستعمر، وتحديد هويته قبل الاستعمار، فأي هوية تريد الروائية النسوية العربية استرجاعها، باعتبار أن هامشية ودونية المرأة مرسخة ومتداولة عبر العصور، وخطاب سائد في كل الكتابات قبل الاستعمار وبعد الاستعمار، لذلك سنحاول مسائلة الرواية النسوية العربية من خلال نماذج روائية متنوعة " رواية أرض وسماء لسحر خليفة و الطنطورية لرضوى عاشور و عرش معشق لربيعة جلطي و الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي"، لنكشف اللثام على عدة أنساق سياسية و دينية و ثقافية و اجتماعية تحاول المبدعة تمريرها في خطابها السردي، وكل ذالك خلف براءة خادعة توهمنا أن الموضوع مجرد رواية.

1/ النسق السياسي في الرواية النسوية العربية:

1/1 _ الانتماءات السياسية الضيقة بين الواقع والحقيقة:

في بلادنا العرب ينتسب الأشخاص إلى الأحزاب بعد الإقتناع بمبادئ هذا التيار أو الحزب، ليتشف لاحقا بأنه ثمة خطة/ طبخة يصنعها الكبار، وأول ما تضرب به عرض الحائط هو تلك المبادئ،

ويصبح هذا الإنسان أمام خيار من اثنين: إما الانسحاب أو الاندماج و الانخراط في اللعبة الكبيرة. لأنه إن لم يكن هذا ولاذاك فسوف يكون مجرد شاهد على العملية، والعملية يقودها المتسلقون البهلوانيون الذين ما إن يصلوا إلى الأعلى حيث غرفة العمليات وإدارة المخططات وتنفيذها، حتى تبدو عليهم أمارات الثراء وليس هناك من يسأل: من أين لك هذا؟ لأن المسؤولين السياسيين في التنظيمات والأحزاب هم المسؤولين عن ذلك كله و(المسؤول لا يسأل) وهذا ما عرضته (أرض وسماء) على غير صعيد، لاسيما في التجربة الفلسطينية إذ يقول الراوي: "... كثرت حولنا الشائعات، قالوا إننا ضد الإسلام والعروبة وإننا نحرض القرويين على الاستيلاء على ممتلكات الإقطاعيين، قالوا إننا نملأ رؤوس الشبيبة بأفكار جانحة شاذة، تتحدى العادات والتقاليد كل تلك الشائعات سرت كالنار في الهشيم وتبنا محاصرين، بحسد الأحزاب السياسية وتهديدات الإقطاعيين، وذعر الموارنة والسنة، فأحاطونا بالعملاء والجواسيس وحاولا مرارا وتكرارا النفاذ إلى مشاريعنا، وتدمير مقرنا وصوبوا نظرهم إلى نموذجنا الصغير في الوادي الكثير. رغم كل ما أحيط بنا من حسد وحقد ومؤامرات، واضبنا على قطف ثمار النجاح ..."[5].

فقد عالجت الكاتبة الانتماء السياسي بوصفه تعبيرا بارزا عن خلفية إيديولوجية[6]، مشيرة إلى التشتت والتمزق اللذين يمسان الالتزام الحزبي معارضة كان أم موالاة فالملتزمون الذين يشكلون الموالاة راحوا يسخرون مواقعهم لخدمة أغراضهم الشخصية، والأحزاب السياسية التي تشكل المعارضة ليست بأحسن حالا. كما سنرى في المثال التالي:" ... كنا نعيش مرحلة ثورية ونعتقد أن بإمكاننا إصلاح الوضع وتقويمه: إرجاع لبنان إلى صدر الأم سوريا، وتوحيد المواطنين في إطار المواطنة القومية، وتخليص البلد من الإقطاع، والقضاء على العشائرية والطائفية، والتخلف والأمية، كنا نأمل، كنا نحلم، لهذا لم نحل عنه وعنهم، فحين عدت إلى سعادة، وكان كعادته في العرزال يجمع إلى العمداء والقادة ... نظرت إليه وأنا أجلس أسفل العرزال على صخرة، كان يستمع لنقاشات

العمداء والقادة صامتا وما بين الفينة والفينة يسأل سؤالا مقتضيا ويستمع للجواب أو الأجوبة ويهز رأسه ويحاول رؤية الأبعاد والنتائج لهذا بدت على وجهه علامات القلق والتوجس ..."[7].

أي قارئ لهذه الرواية في العالم العربي، لن يجد غرابة في هذه الممارسات، لأنه يختبرها حيث هو، فالرواية عبارة عن شبكة من الأنساق تريد الروائية تمريرها لتحرر من بعض الممارسات الفكرية العقيمة، ف تبحث عن مثال أو أكثر ظاهرة منتشرة في الوطن العربي وليست محصورة ببلد دون آخر[8].

1/2 القضية الفلسطينية:

أقلق هذا الموضوع رواية (أرض وسماء) مطولا ومفصلا فأظهرت الواقع الفلسطيني المؤلم، وكشفت وطنية أبنائها الذين يحملون دمهم على أكفهم في سبيل حريتهم، "أمين القحطان" الذي ... يحركه واجبه الوطني "... اسمي يا سادة أمين القحطان، أنا من القدس وكنت مع الحسيني في القسطل. هزمنا في القسطل، وفقدنا القدس. أحدهم قال مصححا، بل نصف القدس. وقال الشيخ المعمم: لا حول ولا قوة إلا بالله، تفرج، تفرج. الفرج قريب بإذن الله. لكن يا بني لماذا تجيء إلى لبنان وتترك بلدك؟ قلت بحماسة: لبنان بلدي كفلسطين، وبيروت غالية مثل القدس، هزوا الرؤوس، علق القصير بالطربوش: ولبنان وفلسطين في سوريا ..."[9].

ففلسطين كطائر جريح، كلما تمادت الحروب في اغتصابها وتهديمها انتفضت من تحت رماد المحن[10]، بفضل أبنائها الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجلها. فأصبح الوطن بالنسبة لهم قبر، والمستقبل قبر، والقلب مجرد قبر، وفلسطين جنون انتفاضة تلو انتفاضة، ويبقى الأبرز حب الفلسطيني ورغبته القوية في العودة: "... رائحة القدس، رائحة الشوق والهجران والتحسر. رائحة القدس! لكن الوضع هنا مختلف، يدعو للأمل والتفاؤل، فها هي سوريا تنتفض بثورة قومية تدعمنا...."[11].

إن رؤية الروائية في "أرض وسماء" هي أن مصلحة الوطن فوق مصلحة الأفراد، دون أن يعني ذلك، أي إلغاء لحقوق الفرد الإنسانية والاجتماعية، وليست القضية هنا في القول، إن الرؤية توجه الرواية،

بل القضية في أن هذه الرؤية تشكل قيمة عامة لرؤية العالم[12]، تدعوا الرواية إليها، وتحبذها وتدافع عنها وتجعلها بناءها التحتي الشامل وردا عن كل الأفكار التي تتربص بعروبتنا و اتحادنا مع القضية الفلسطينية.

لقد وظفت (سحر خليفة) رؤيتها للعالم توظيفا فنيا وجماليا، فلا فائدة من رفض الرؤية أو تأييدها أو توهينها، انطلاقا من رؤية مغايرة، ذلك أن الروائي يكتب رواية أي أنه يرغب في استخدام لغة الفن ليقنع قارئه، بالرؤية التي يؤمن بها، وكلما كبر نصيب الرواية من الفن كان الروائي أقدر على توفير هذه القناعة عند القارئ[13].

أما رضوى عاشور في رواية "الطنطورية " فهي محاطة بالثورة الفلسطينية، وأزمتها المجسدة بكثافة في علاقتها مع عائلتها وأطفالها، فهي بخلفيتها هذه تعايش الأزمة السياسية التي تمزق المجتمع العربي بصورة عامة، والتي تنسحب على تفاصيل حياتها الاجتماعية، والطريقة التي تتجلى بها هذه المعاناة في الرواية تعكس لنا المنظور الايديولوجي الذي ينم عن تفكير المبدعة وثقافتها.

فالبعد القومي والحديث عن أبناء الوطن الكبير، يختلف بتحديده صفة التفاعل مع الوقائع، وكأن الرواية تؤرخ لمآسي الأمة العربية، فيختفي ألم الشخص – الفرد– ويتجلى ألم الأمة بتاريخها وثقافتها وحضارتها، ومصيرها الحاضر والآتي [14]، والقضية الفلسطينية تحتل المقام الأول من اهتمام الكاتبة. فتصف الحياة البائسة للإنسان في الملاجئ والمخيمات، والاهانات الإنسانية، التي يتعرض لها عندما يشرد بعد هدم بيته وتدمير ذكرياته وفضح حميميته وانتهاك خصوصياته[15] . يقول الراوي: "... لم أكن أعرف كل التفاصيل، ماذا حدث في حيفا يوم كذا، وكم قتيل راح من براميل البارود الذي دحرجه المستوطنون على جبل الكرمل، في شارع كذا، وأي قرية داهموا في الليل بيوتها وسكبوا الكيروسين، على مونتها من طحين وعدس وزيت وزيتون وأطلقوا الرشاشات على أهلها، ولكنني كباقي صبايا البلد، كنت أعرف أن الوضع خطير، .. أبي ورجال القرية علموا بقرار التقسيم في حينه وكانوا في اجتماعاتهم تلك يتدبرون أمرهم في كيفية مواجهته. (كان خط الساحل من جنوب

عكا إلى جنوب يافا بما فيها قريتنا يدخل بعد التقسيم في نطاق دولة لليهود)...قالت الجارة إن اليهود ألقوا قنبلة من سيارة مسرعة، فقتلوا وجرحوا كثيرين. وقالت انه في اليوم التالي مباشرة انقض العمال الفلسطينيون بالعصا والسكاكين على العمال اليهود، وثأروا منهم وقتلوا من قتلوا ..."[16].

وعلى إيقاع الصراع العربي الإسرائيلي والهزائم المتتالية يتواتر الحرب الروائي في التاريخ[17]، كما بدا في الرواية، يقول الراوي: "... كانت الحرب تسلمنا إلى الحرب. ومن حرب إلى حرب ... ماذا؟ هنا تتعثر الجمل ويترك الكلام لأنني لا أعرف كيف يمكن تلخيص ما عشناه في تلك السنوات، لا أعرف طريقة لنقل المعنى وأتساءل عن جدوى الدخول في التفاصيل. خذ مثلا السبت الأسود في ختام العام 75...."[18] ،ولم تقتصر الكاتبة على سرد المعاناة الاجتماعية جراء الاحتلال الصهيوني، وحياة الأفراد داخل الملاجئ والمخيمات، بل شددت على خصلة مميزة للكائن الفلسطيني الفريد في التاريخ المعاصر، تلك الخصلة تتمثل في القدرة على التجدد والقدرة على المقاومة ودفع أشكال الانهيار وهدر الكرامة[19]، كما في المقطع السردي الموالي: "... حيفا سقطت في يومين، راحت في يومين اثنين يا أبو صادق. كنت هناك وأنت تعرف. مدينة محاصرة من الجهات الأربع، عشر مستوطنات تطوقها وفي داخل المدينة، هم يسكنون الجبل ونحن في السهل، ومعهم مدافع ونحن نحتاج أن نسلك كالحوات لنحصل على السلاح. وصلتنا 250 بندقية من الشام، لم يستلم رشيد الحاج إبراهيم منها سوى 89 لأن الباقي كان عاطلا وقديما. رفض استلامه. ومع ذلك فعلنا كل ما نستطيع، كل ما نستطيع طوال خمسة أشهر..." [20].

وهكذا فقد طالت الكاتبة الاتجاهات السياسية والحرب في فلسطين، بوصفها تعبيرا بارزا عن خلفية إيديولوجية، فكل وحدة سردية تنطوي على مغزى سياسي[21]، فالحرب تتولى إنضاج الشخصية ووضعها على محك الاختبار لتعدها لحياة لها طبيعتها المتفردة[22]، "... تعلمك الحرب أشياء كثيرة. أولها أن ترهق السمع، وتنتبه، لتقدر الجهة التي يأتي منها إطلاق النيران، كأنما صار جسمك أذنا كبيرة فيها بوصلة، تحدد الجهة المعينة بين الجهات الأربع أو الخمس، لأن السماء

غدت جهة يأتيك منها أيضا الهلاك ثانيها أن تسلم قليلا وأن لا تخاف إلا بمقدار. القدر الضروري فقط. لو زاد خوفك مقدار ذرة، غادرت بيتك بلا داع لأن القصف في الناحية الأخرى من المدينة، ... ثالثا أن تنتبه حين تضطر لمغادرة البيت أن تأخذ الأهم فالمهم ... والمؤكد أن هناك رابعا وخامسا وسادسا تتعلمه من الحرب، لكن دائما تتعلم وإن ورد هذا في الأول أو في الختام، أن تتحمل. تنظر وتتحمل لأن البديل أن يختل توازنك. باختصار يجن ..."[23].

1/3– الإرهاب/ الفتنة/ العشرية السوداء:

تباينت وجهات نظر الروائيين والكتاب وذهبت مذاهب شتى في تشخيص الأزمة الخانقة التي تعيشها الجزائر منذ سنوات طويلة فمنهم من يلقي باللائمة على الحكم ورجاله، ومنهم من يركز تحليله على الأهمية الحيوية للاقتصاد ودوره في عملية التخلف الاجتماعي، ومنهم من يرى العلة في غياب الاختلاف الفكري والتعددية السياسية وحرية الرأي[24].

تناولت أحلام مستغانمي موضوع الإرهاب كحتمية تاريخية لسنوات من ممارسة الفساد بإتقان و"الأخطاء التي ارتكبتها النخب القيادية في إدارة الاقتصاد والبلاد، فالإرهاب هو الأعمال الشنيعة التي من طبيعتها أن تثير لدى الإنسان الإحساس بالخوف أو هو استعمال وسائل لإثارة الرعب، قصد تحقيق أهداف معينة، يقول الراوي: "... إنها الأمواج العاتية للحياة، تقذف بها مرة أخرى إلى الشاطئ نفسه، الذي غادرته قبل ثلاثين سنة عندما تزوجت ذلك الجزائري، هربا إلى أبعد مكان عن رائحة الموت، لكن الموت عاد بها، هاربة مرة أخرى من حيث جاءت، فهل كانت تحمله في حقائبها ليكون لها قدر غريب كهذا؟

كان الموت إياه ينتظرها في سيناريو آخر، هذه المرة ليس الجيش الذي يقتل الأبرياء بشبهة إسلامية، بل إرهابيون يقتلون الناس بذريعة أنهم أقل إسلاما مما يجب ... كان عليها أن تعيش فجائعها وهي في كل وعيها، أن يشرعوا الباب كل مرة، ليدخلوا عليها تارة بجثة زوجها وأخرى بجثة ابنها ..."[25].

لقد صورت الرواية بدقة عشرية الموت التي أودت بالجزائر وبشباب الجزائر إما في السجون والمعتقلات ومحاسبة النظام للناس على الشبهة[26] وإما في الجبال، حيث الجماعات المحاربة للدولة تغتال الدولة والناس والفرح، وتغتال الشباب إما بقتلهم وإما بتجنيدهم جماعات مارست فقه الموت وصناعته، وكانت تعده على عجل ليكون صارما قويا، عشرية من الدم تركت الناس جرحى في الحب والأمل وخلفت في كل بيت من الحزن ما يكفيه. بيت توشى الناس فيه بالأسود ليليق بحدادهم وحزنهم وفجائعهم على من فقدوهم موتا أو تشردا أو في المعتقلات حيث التعذيب واهانة الكرامة، عشرية قاتلة وجارحة ومدمرة، يخرج الناس منها، ولم يربحوا غير الألم والفقدان!

للتعبير عن عمق الأزمة السياسية التي عانتها (الجزائر) أيام العشرية السوداء، التي مزقت المجتمع الجزائري، وانسحبت على تفاصيل حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، استعانت الروائية ربيعة جلطي بتقنية الرد بالكتابة ، يقول الراوي: "... هكذا جئت: لو أنني خيرت لكنت اخترت أن أجيء في زمن جميل ولما أتيت سنوات القتل والمحنة والإرهاب، سنوات كانت سوداء على البلاد والعباد. لم يكونوا ليختلفوا حول الله بل اختلفوا بجنون حول السلطة. لم يكن يمر يوم دون أن تغرق البلاد في حزن من نفقدهم من رجال ونساء، جرار الإرهاب الأعمى يدك كل السنابل الممتلئة، ربما كان يستلذ بشبق مرضي لحظات بكاء الناس قتلاهم في البيوت و الشوارع والمقابر وعلى الشاشة الرسمية الوحيدة في البلاد كل نشرة مساء ..."[27].يأخذ هذا البعد الإيديولوجي، قراءة تأريخية، إذ ينظر إلى الماضي فلا يغفل تفاصيله ويعيد صياغته وفق مفاهيم و رؤيا جديدة

2/ النسق الديني في الرواية النسوية العربية:

مما لازالت تعانيه المجتمعات، وترزخ تحت وطأته الانتماءات الضيقة، إذ يشارك الفرد في صنع قراره جميع المؤثرات المحيطة به، لاسيما الدين ومشكلة الطائفية، ولشدة تفشي هذه الظاهرة، تنشأ مخلفات مرضية، متخفية خلف قناع النقد (غير الموضوعي) ومحمية بسلطة الأمر الواقع[28] ، كما في

المثال التالي: " ... تذكرت ما قال البيك السني أبو الطربوش، قال: الفلسطينيين منا وفينا والعين لا تعلو على الحاجب، يقصد الإسلام والملة لكن عبارة "دمنا وفينا" مشروطة لأنه واصل، لكن إذا راحوا هيك وهيك، يعني إخوان وشيوعية، فلا أنته منا ولا فينا، هذا ما قال شيخ السنة. أما هذا، هذا الرمادي المستشرف فيقول: "كثرة عليكم"، ليس لأننا مسلمون فقط، بل لأننا فقراء سنيون وغير متحضرين بحضارتهم ويقول علانية بصراحة: فلسطين لهم، أي لليهود، ولبنان لنا، أي للنصارى..."[29].

تتناثر الأنساق الدينية في الرواية النسوية بشكل مكثف وواضح، لكن بتواتر يرسمه كثير من الحذر لان هذا الموضوع من المحذورات في عالمنا العربي، و المساس بهذه الأنساق وكشف اللثام عنها يتطلب جرأة كبيرة، لذلك لجأت المبدعة إلى فكرة تعدد وجهات النظر، ومن ثم الانتصار لفكرتها لتبرز في النهاية لتصحح العديد من الأفكار المتعصبة.

إن البحث في الثالوث الممنوع وخاصة (الدين والسياسة) يعكس فكر "سحر خليفة" التي تحاول كشف اللثام عن ظاهرة تصارع الأديان والطوائف في العالم العربي " ... انقسام الجالية إلى مذاهب، وانقسام المذاهب إلى شيعة، وانقسام الشيعة إلى طوائف، والطوائف إلى مجوعات. يعني المشكلة ضاربة في عمق التربية العربية، أينما هاجرنا وحللنا نأخذ معنا هذا الإشكال..."[30].

3/ النسق الثقافي في الرواية النسوية العربية:

إن المثقف هو صاحب دور داخل محيطه الاجتماعي، وهذا الدور ليس مؤقتا أو زمنيا مرحليا بل هو رسالة إلى المستقبل، ومن هنا سيظهر دفاعه عن المستقبل أكثر من دفاعه عن الواقع أو الماضي[31].

ويحدد محمد أركون المثقف في الكائن الفاعل[32]، انه لا يدعي امتلاك القدرة على تقديم حلول نهائية للمأزق وإنما يكتفي بتقديم تصورات جديدة تنطلق من اختراق "كل خطاب عمل على رسم حدوده الواهية القائمة على مبدأ الهوية القاتل، خطاب لم يجلب سوى الفشل والهزيمة والعجز على

مسايرة التحولات الطارئة[33]، يطرح المثقف الأسئلة حول ظروف إنتاج المعاني وتوصيلها وتحويلها ونشرها واختفائها، إن فكره مستقل واستكشافي واحتجاجي[34].

ويعرف ادوارد سعيد "المثقف" بذلك الشخص المزود بقدرة التمثيل والاحتواء والتعبير عن رسالة أو وجهة نظر أو رؤية أو موقف أمام الجمهور وذلك الشخص الذي يلعب دورا في المجتمع، وهذا الدور يخضع لقواعد ولا يمكن أن يؤديه إلا "الذي يلتزم بطرح الأسئلة المقلقة ويواجه الفكر الأحادي، ولا ينتجه أبدا"[35].

فاليأس الذي عصف (برقية) وهي تكتب الحكاية التي طلبها منها ابنها (حسن) "... حسن هو الذي اقترح علي كتابة حكايتي قلت: لست بكاتبة قال: احك الحكاية، اكتبي ما رأيته وعشته وسمعته وما تفكرين فيه وإن صعبت عليك الكتابة احك شفاهة وسجلي الكلام..." [36]، فكتابة الحكاية أضعفت قوتها فالمثقف ينكب أثقالا جساما، ينوء بحملها وحده[37].

المجتمع العربي وضعية باهتة يتجاذبه فيه منطق الاعتراف والإقصاء في علاقته بالمجتمع والسلطة فهو عندما يزعج السلطة بكلامه فإنها تعمل على إقصائه، وكلما حاز هذا المثقف هو بدوره سلطة ما كلما انزعج من كلام الأخر، الذي يهدد مكانته المطمئنة داخل سلطته. انه من النادر أن نعثر داخل التبادلات الاجتماعية على شخص أو فاعل أكثر اتهاما من المثقف [38]، حيث راكم كل النعوت وموورست عليه كل أنواع الممنوعات.

فكثيرا ما وجد المثقف نفسه أمام خيارين صعبين فإما أن يكون منخرطا، فيغدوا عضوا ينطلق برموز القوة، وإما أن يدخل في علائق صراعية ضد الهيمنة من أجل نشدان الحرية والعدل والتغيير، المثقف هنا لا يسكت ولا يتجاهل ولا ينأى بنفسه عن حلبة الصراع لا يحمل المثقف معه في رحلته عبر المساحات المعتمة غير سؤاله المعرفي المدمر، لاستقصاء المناطق الأكثر هامشية[39].

يقول الراوي: "...– واش راك تدير هذه الأيام؟

– ما ندير والو، راني ندور مثل رواية مالك حداد "الاصفار تدور حول نفسها" راني هكذا ندور.

النذير يتكلم بقهر شاب..."[40].

لقد تناولت الرواية العلاقة المتوترة بين المثقف والسلطة في الرواية باعتبارها جنسيا تخيليا يعيد إنتاج وقائع التاريخ، ويأتون بتصنيفات مختلفة لشخصية المثقف العربي الذي يبحث عن مكان العجز ومواطن الخلل وعوامل الإعاقة [41]، التي أنتجت موجة الإرهاب، ورياح الدمار التي تجتاح شرق العالم العربي وغربه[42].

4/ النسق الاجتماعي في الرواية العربية المعاصرة:

بدأت الرواية– الاسود يليق بك– من النهاية، من فراق الحبيبين، لتغطي على المشهد الأول، الملامح الذكورية[43]، وتتجلى الذكورة في نظرة المجتمع إلى المرأة فلقد غير تهديد الأقارب سلم مخاوف (هالة) وهي الشخصية الرئيسية التي تغني كلمات والدها، إن المرأة لا تخشى القتلة الإرهابيين تخاف مجتمعا[44]، يتحكم حماة الشرف في رقابه، ثمة إرهاب معنوي يفوق جرائم الإرهابيين. يقول الراوي: "... إرهاب آخر كان بنتظرها، مقنعا بالشفقة وبروح الإنسانية، كل من حاورها من الصحافة الأجنبية أرادها ضحية التقاليد الإسلامية لا الإرهابيون، خرجت للغناء لكسر القيود التي يكبل بها الرجل العربي المرأة، لا لتتحدى القتلة..."[45].

ولابد من زواج البنت في مجتمعها الشرقي، فما هو موقف والديها بعدما تخلت عن ذلك الشاب الذي كانت ستتزوجه قبل سنتين !، أثارت غضب أهلها، فخشوا أن تذبل في انتظار خطيب قد لا يأتي[46].

يقول الراوي: "... ما الذي ينقصه؟ أي عيب وجدت فيه كي تفسخي الخطوبة ؟ أتعتقدين أن كثيرين سيتسابقون للزواج من معلمة أبوها مغن؟ الطبيبات والمحاميات، ما وجدن رجلا، وأنت فرطت في ثاب من عائلة كبيرة.."[47].

تعرضت رواية (عرش معشق) إلى مظهر من مظاهر المجتمع العربي الشرقي الذي لا يزال ينفي عن المرأة- مهما ارتقت- كل صفة أو هوية عدا كونها أنثى، وهذا ما يبقيها دائما ضعيفة، تابعة للرجل ومحكومة بإرادته، ملزومة بتحمل الكثير من الظلم والقسوة والاضطهاد النفسي المعنوي.

فالنظر إلى رواية (عرش معشق) من خلال هذه النافذة التي تبدو فيها المرأة ضعيفة، ومقموعة، بسلطة الرجل، وتعاني العديد من نقاط الضعف، كما هو الحال بالنسبة لشخصية (حدهم) التي تعاني من جبروت السلطة الذكورية، كما عانت منها والدتها والنساء الأخريات من قبل، تقول: "... لابد أن تزغرد النساء ثلاث مرات كما جرت العادة، حين تضع الحامل ذكرا، فيعلم الجميع بسرعة البرق، وأن يعلم الحاضر الغائب أن "الرويجل" جاء ... وبعد أعوام معدودة يستنحنح، ويكح ليدخل الرهبة في قلوب إناث البيت له بالقسر أو الطواعية. فيسطو على حرية من علمنه كيف يسطو وبسيطر على وجود من علمنه كيف يسيطر ويسكت ويقهر، ويظلم من علمنه كيف يسكت ويظلم ويقهر ..."[48].

من خلال هذا المقطع السردي، نستشف وجهة نظر الروائية إلى هذه الانتماءات الضيقة التي مازالت تعاني منها المجتمعات المشرقية. فقضية المرأة بهذا المنظور، ليست مشكلة فردية إنما هي قضية تخص المجتمع بأكمله، ومعاناة المرأة من نقاط الضعف، ما هو الا نتاج طبيعي لانعدام الحرية. إذ لا معنى لحرية المرأة في مجتمع يرفض وجودها وحق مشاركتها في صناعة القرار، إن المشكلة التي تطرحها الرواية تتعلق بتأسيس عقلية ثقافية جديدة تتعامل مع المرأة كانسان وليس كأداة[49].

إن الروائيات العربيات خبرن أزمات المجتمع، بتنوعها وتعددها، وتأثيراتها، وامتلكن الثقافة العميقة، والنظرة الثاقبة محاولين تجسيد هذه الأزمات في رواياتهن وتقديم رؤية متميزة إلى العالم من حولهن، في رحلتهن الطويلة مع العطاء الروائي، من أجل الوصول إلى مرتبة فنية عالية المستوى، تساهم في تشكيل هوية الرواية العربية والدفع بها إلى مكانة أرقى، وتراكم المشاكل الإجتماعية القطرية والسياسية بين الأقطار العربية منذ العقد السابع في القرن العشرين هو ما دفع الروائين إلى

الإلتفات إلى التاريخ العربي، لعله يسعفهم في إصلاح عطب الزمن العربي الحاضر وإعادة التأريخ من وجهة نظر ثانية بعيدا عن الآخر وهويته المختلفة و نظرته العنصرية، وقد أبت الروائيات إلا أن تكن بين تلك النخبة، من الروائين العرب الملتزمين بقضايا الوطن والأمة، والذين سعوا بقلمهم الصادق، وفكرهم المستنير إلى الإدلاء بدلوهم في مسيرة تحرر الشعب العربي ووعيه. وقد إمتلاك الكاتبات ثقافة العصر المتشعبة والمعقدة، وقد ظهر ذلك على ألسنة الشخصيات، عندما يتطرقن إلى موضوعات الحرية والحياة والموة والحب و الجنس و العمل السياسي و الديني و غيرها.

إحالات البحث:

[1] بيل أشكروفت وجاريث جريفيث، وهيلين تيفين،دراسات مابعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، تر: أحمد الروبيوآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة ،ط1، 2010، ص 283.

2.هاشمي غزلان، مابعد الكولونيالية..من الهامش إلى المركز ، مجلة دليل الكاتب، ديوان الكتاب للثقافة والنشر ، ط1، 2010، ص 85.

3. سعيد ادوارد ، الثقافة و الامبريالية، ترجمة كمال أبو ديب ، دار الآداب، بيروت ، ط3، 2004، ص 227.

4. بن الهاشمي هشام، الكتابة المسرحية العربية المعاصرة وأسئلة الإستعمار ، المركز الدولي لدراسات الفرجة، طنجة، المغرب ، ط1، 2016، ص 47.

5. خليفة سحر، أرض و سماء ، رواية صادرة عن دار الأدب، بيروت، ط1، 2013، ص191/190

6. ناصر نمر محي الدين، بناء العالم الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ط1، 2012، ص43.

7. سحر خليفة، أرض وسماء، مصدر سابق،ص 206/205 .

8. عبير حسن علام، شعرية السرد و سيميائياته ، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية ، ط2، 2012، ص 271.

9. سحر خليفة، مصدر سابق، ص 163.

10. سليمان نبيل ، المساهمة الروائية للكاتبة العربية، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية، ط1، 2013، ص 100.

11. سحر خليفة، مصدر سابق، ص 235.

12. سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، البناء و الرؤيا، (مقاربة نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص 172.

13. المرجع نفسه، ص173 .

14. المعتصم محمد ، المرأة و السرد ، دار الثقافة، الدار البيضاء ،ط1، 2004، ص 148.

15. المرجع نفسه، ص 148.

16. عاشور رضوى الطنطورية ،رواية صادرة عن دار الشروق، القاهرة، ط2010،1، ص 24/ 25.
17. سليمان نبيل، أسرار التخييل الروائي، اتحاد الكتب العرب، دمشق ،2005، ص 183.
18. رضوى عاشور، الطنطورية، مصدر سابق، ص 184 .
19. حمد معتصم، المرأة والسرد، مرجع سابق،ص 148 .
20. رضوى عاشور، الطنطورية، مصدر سابق،ص 43 .
21. ناصر نمر محي الدين، بناء العالم الروائي، مرجع سابق، ص 44.
22. الضبع مصطفى ، الطنطورية قراءة سيميو تأويلية، مجلة الرواية قضايا و آفاق، الهيئة المصرية العامة للكتاب،المجلد 6- العدد 6، 2011، ص72.
23. رضوى عاشور، الطنطورية، مصدر سابق، ص 184/183.
24. سنقوقة علال ، المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000، ص 12.
25. مستغانمي أحلام، الأسود يليق بك ، رواية صادرة عن دار نوفل، لبنان، ط1، 2012، ص 195/194.
26. الخمار العلمي، في الهوية و السلطة ، منشورات ما بعد الحداثة فاس، المغرب، ط1 ،2006، ص 99.

27. جلطي ربيعة، عرش معشق، رواية صادرة عن منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2013، ص22.
28. عبير حسن علام، شعرية السرد و سيميائياته، مرجع سابق، ص 279 .
29. سحر خليفة، أرض وسماء، مصدر سابق،ص 203 .
30. مصدر سابق، ص 299 .
31. العربي عبد الرسول ، المثقف و السلطة، مجلة المساءلة ع 514 ربيع / صيف 1993، ص42.
32. بودومة عبد القادر، الحداثة و فكر الاختلاف، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2003،1، ص 12.
33. المرجع نفسه، ص54.

34 . mohamed arkoum, humanisme et islam, combats et propotion édition barzak, alger, 2007 p :152 .

35 . edward, said, des intellectuels et du pouvoir, traduit par : paul chemla, édition, mainoor, alger, 2001, p 23.

36. المصدر نفسه، ص204 .
37. عبير حسن علام، شعرية السرد و سيميائياته، مرجع سابق، ص 273.
38. خليل أحمد خليل و محمد علي الكبسي، مستقبل العلاقة بين المثقف و السلطة ، دار الفكر، و دار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ط1، 2001، ص 19.
39. المرجع نفسه،ص 21 .
40. مستغانمي أحلام، الأسود يليق بك ، مصدر سابق، ص93.

41. حسين عيد، " المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة، في مجلة عالم الفكر، المجلد السادس يوليو سبتمبر 1987، ص 285.
42. الشاذلي عبد السلام ، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة (1882- 1952) ، دار الحداثة، بيروت، ، 1990، ص26.
43. العدنان حب الله، التحليل النفسي للرجولة و الأنوثة من فرويد إلى لاكان ، دار الفارابي، لبنان، الجزائر، ط1،2004، ص 67.
44. جمعة زينب، صورة المرأة في الرواية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ، بيروت، ط1، 2005، ص 67 .
45. أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، مصدر سابق، ص78 .
46. الديك زهرة ، أحلام مستغانمي، هكذا تكلمت ... هكذا كتبت ، دار الهدى، الجزائر ، ط1، 2013، ص 193.
47. أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، مصدر سابق، ص 22.
48. ربيعة جلطي، عرش معشق، مصدر سابق، ص 60/59.
49. الرايس حياة، جسد المرأة من سلطة الأنس إلى سلطة الجان ، سينا للنشر، القاهرة ، ط1، 1995، ص 6/5.

قائمة المراجع المعتمدة:

1/المراجع بالغة العربية:

1/بن الهاشمي هشام، الكتابة المسرحية العربية المعاصرة وأسئلة الإستعمار ، المركز الدولي لدراسات الفرجة، طنجة، المغرب ، ط1، 2016.

2/بودومة عبد القادر، الحداثة و فكر الاختلاف، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،2003.

3/جلطي ربيعة، عرش معشق، رواية صادرة عن منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2013.

4/جمعة زينب، صورة المرأة في الرواية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2005.

5/خليفة سحر، أرض و سماء ، رواية صادرة عن دار الأدب، بيروت، ط1، 2013.

6/خليل أحمد خليل و محمد علي الكبسي، مستقبل العلاقة بين المثقف و السلطة ، دار الفكر، و دار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ط1، 2001.

7/الخمار العلمي، في الهوية و السلطة ، منشورات ما بعد الحداثة فاس، المغرب، ط1 ،2006.

8/الديك زهرة ، أحلام مستغانمي، هكذا تكلمت ... هكذا كتبت ، دار الهدى، الجزائر ، ط1، 2013.

9/الرايس حياة، جسد المرأة من سلطة الأنس إلى سلطة الجان ، سينا للنشر، القاهرة ، ط1، 1995.

10/سليمان نبيل ، المساهمة الروائية للكاتبة العربية، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية، ط1، 2013.

11/سليمان نبيل، أسرار التخييل الروائي، اتحاد الكتب العرب، دمشق ،183.

12/سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، البناء و الرؤيا، (مقاربة نقدية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.

13/سنقوقة علال ، المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000.

14/الشاذلي عبد السلام ، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة (1882- 1952) ، دار الحداثة، بيروت، ، 1990.

15/عاشور رضوى الطنطورية ،رواية صادرة عن دار الشروق، القاهرة، ط1،2010.

16/ عبير حسن علام، شعرية السرد و سيميائياته ، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية ، ط2، 2012.

17/العدنان حب الله، التحليل النفسي للرجولة و الأنوثة من فرويد إلى لا كان ، دار الفارابي، لبنان، الجزائر، ط1،2004.

18/العربي عبد الرسول ، المثقف و السلطة، مجلة المساءلة ع 514 ربيع / صيف 1993.

19/مستغانمي أحلام، الأسود يليق بك ، رواية صادرة عن دار نوفل، لبنان، ط1، 2012.

20/المعتصم محمد ، المرأة و السرد ، دار الثقافة، الدار البيضاء ،ط1، 2004.

21/ناصر نمر محي الدين، بناء العالم الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ط1، 2012.

22/بيل أشكروفت وجاريث جريفيث، وهيلين تيفين،دراسات مابعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، تر: أحمد الروبيوآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة ،ط1، 2010.

23/سعيد ادوارد ، الثقافة و الامبريالية، ترجمة كمال أبو ديب ، دار الآداب، بيروت ، ط3، 2004.

24/حسين عيد، " المثقف العربي المغترب في الرواية الحديثة، في مجلة عالم الفكر، المجلد السادس يوليو سبتمبر 1987.

25/الضبع مصطفى ، الطنطورية قراءة سيميو تأويلية، مجلة الرواية قضايا و آفاق، الهيئة المصرية العامة للكتاب،المجلد 6– العدد 6.

26/ هاشمي غزلان، مابعد الكولونيالية..من الهامش إلى المركز ، مجلة دليل الكاتب، ديوان الكتاب للثقافة والنشر ، ط1، 2010.

المراجع الأجنبية:

1-edward, said, des intellectuels et du pouvoir, traduit par : paul chemla, édition, mainoor, alger, 2001.

2-mohamed arkoum, humanisme et islam, combats et propotion édition barzak, alger, 2007.